الباب الثامن

واقع المسلمين في الامبراطورية الروسية في العهد القيصري

- نهاية حكم القياصرة .
- المسلمون تحت حكم البلاشفة الشيوعيين .
- الثورة البلشفية ونداء لينين .
- ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي .
- الاضطهاد الشيوعي للمسلمين .
- مذبحة القرم .

الباب الثامن

واقع المسلمين في الإمبراطورية الروسية في العهد القيصري

في الوقت الذي أظهر فيه الحكام المسلمون من التتار والعثمـــانيين تسـامحا مـع المسيحيين في المناطق التي حكموها ، ولم يأذنوا لأنفسهم باضطهادهم ، واقتصروا علـى تلقى لجزية منهم دون أن يرغموهم على اعتناق الإسلام . قـام الصقالبـة الأرثوذكـس بالانتقام من المسلمين عامة تتار وعثمانيين ، واعتبروا المسلمين جميعا في كافـة أرجـاء الأرض أعداء لروسيا وتسببوا في تقويض بيزنطة الامبراطورية الرومانيـة المقدسـة . اضطهد ايفان الرابع [1] المسلمين وحرق مساجدهم وصادر أموالهم وهاجر الكثيرون إلـى تركيا خوفا من اجبارهم على اعتناق المسيحية ، واستمر الاضطهاد الوحشي حتى حكـم كاترين الثانية، وما بعدها إذ سار على الدرب القيصر بطرس الملقـب بـالعظيم ١٠٩٢-١١٣٨هـ/١٦٨٢-١٧٢٥م فكانت سياسته كسلفه فى فرض التنصير على المسلمين بـالقوة أو الفرار من أراضيهم وأوطانهم.

وتسير الامبراطوية منه ١١٥١-١١٦٩هـ /١٧٣٨-١٧٥٥م علـى نـهج ايفـان الرهيب وتفرض التنصير فى المجرى الأوسط لنهر الفولجا وتصـادر الأوقـاف وتغلـق المساجد وتصادر أراضى المسلمين ، وتصدر أمرا بإعفاء المرتدين عـن الإسـلام إلـى النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ومعاملتهم معاملة حسـنة ليحـذى بقيـة المسلمين حذوهم ، وبالمقابل إزداد الضغط على المسلمين وأثقلـوا بـالضرائب الفادحـة وأجبروا على الخدمة فى أخس الوظائف ومنعوا من ممارسة شعائرهم الدينيـة وأقفلـت جميع مدارسهم ومساجدهم وصودرت أوقافهم الدينية وأختطـف منـهم أبنـاؤهم الصـغار وأدخلوا المدارس التبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية أما المسلم الذى كـان يدعو إلى الإسلام حتى بين إخوته المسلمين فكان يحكم عليه بالإعدام .

أصدر القياصرة أمرا بتحريم اعتناق أى ديـن يخـالف الكنيسـة الأرثوذكسـية ، وعاملوا المسلمين كأرقاء ، وفتحوا مجال التبشير الأرثوذكسـي فـي قراهـم ومدنـهم ،

---

(١) أطلق عليه المسلمون لقب الرهيب لحرب الإبادة الشاملة التى شنها ضدهم فقد فرض عليهم أن يتنصـروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما تفعل إسرائيل اليوم بمسلمى فلسطين وكما فعل الأسبان النصـارى بمسـلمى الأندلس من قبل فيما أسموه بحروب الاسترداد، وكما فعل مع التتار والبشكير المسلمين وقـد تحـول كثـير منهم إلى النصرانية مكرهين خوفا على أرواحهم محافظين على إسلامهم سرا مدى ا
سياسة إيفان فى عهد خلفائه وخاصة من أسرة رومانوف التى امتد حكمها من ٢٢
١٣٣٦هـ/١٩١٧م وتستمر هذه السياسة فى العهد البلشفى للقياصرة الحمر إبتـد
بستالين إلى يومنا هذا.

ووضعوا الخطط للقضاء على أكبر دولة للمسلمين وهي الدولة العثمانية . كان الروس يريدون نشر النصرانية بين السكان المسلمين . قامت كاترين الثانية بالعمل على تنصير المسلمين بكافة الحيل والوسائل ، وتعرض الكثيرون من المسلمين في عهدها للاضطهاد والعقاب ، وقامت بحيلة مضللة قيدت المسلمين الذين أجبرتهم على الهجرة إلى فيافي سيبيريا وغاباتها في السجلات ، على أنهم مسيحيين واعتبرت من بقى منهم على الإسلام بعد ذلك مرتدين توقع عليهم العقوبات الصارمة ، وزعمت أن الوثائق الروسية تقول أنهم في الأصل كانوا وثنيين ثم تنصروا ثم ارتدوا عن المسيحية !! كان الروس يريدونهم مسيحيين فإذ بهم يعتنقوا الإسلام !!، مما زاد من حقد الروس عليهم، لذلك بدأوا بعزلهم .

فى عهد كاترين ١١٧٦-١٢١١هـ/١٧٦٢-١٧٩٦م تمت أضخم التوسعات على حساب أراضى المسلمين إذ صادرت الألاف من أخصب الأراضى الإسلامية وأعطتها لعشاقها المفضلين.

ويأتى بعد كاترين قياصرة يلجأون إلى الضغط على المسلمين فنجد نيقولا الأول ١٢٨٢هـ /١٨٦٥م لا يسمح ببناء المساجد ويصادر أراضى المسلمين ويطردهم منها .

أما فى عهد نيقولا الثانى فيعتمد فى تكوين جيشه على الجنود المسلمين عند قيام الحررب العالمية الأولىفكان فى صفوف جيشه مليون ونصف مليون من الجنود المسلمين الذين أجبروا على قتال الألمان والأتراك فى حرب كان هدفها إزالة تركيا مركز الخلافة الإسلامية من الوجود والاستيلاء على اسلامبول (القسطنطينية) وتحويلها مرة أخرى إلى عاصمة للمسيحية الأرثوذكسية وإعادة الصليب لى كنيسة آيا صوفيا !! كى يتردد فى جنباتها صوت النواقيس بدلا من نداء الله أكبر !!

بعد سقوط قازان عاصمة امارة التتار عام ١٥٥٢م وبعد أن تفككت امبراطورية المغول من قبل ، ومن بينها أراضيهم في روسيه في الثلاثينات من القرن الخامس عشر ١٤٣٠م وما بعدها ، خلفت وراءها امارات تتارية استقل بها حكامها في القرم واستراخان وقازان ، سرعان ما سقطت في أيدى الروس ، الذين عملوا على محو الآثار الإسلامية منها .

في عام ١٧٨٣م ضم الروس امارة القرم ، ومنذ هذا التاريخ بدأت صور الغضب الروسي تظهر بأبشع صورها ، فقاموا بتهجير السكان الأتراك إلى انحاء روسيا وسيبيريا وبلاد التركستان في آسيا الوسطى ،وإلى المدن اروسية ، وحلت محلهم أفواج من الروس والأوكرانيين والأوربيين . . وصنع الحكام الروس مثل هذا في قازان واستراخان في حوض الفولجا والقوقاز وآسيا الوسطى !! واستمرت حروب الروس ضد المسلمين للاستيلاء على أرض التتار وتحويلهم إلى سلافيين ، وقاموا بتهجير السلاف إلى مناطق المسلمين بحجة ازدحام السكان في روسيا وحول موسكو ، ولتدعيم الوحدة الوطنية !!

كان هدف الحكومات الروسية ، أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين وتضييع شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد لم ينس هؤلاء القوم ديانتهم الإسلامية ، وظلوا محتفظين بدينهم ونمطهم الإسلامي ، بل وحدث العكس وتمكنت الجماعات التتارية من نشر الإسلام بين معتنقي الديانات المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم التركية ، ولاعقيدتهم الإسلامية .

نهاية حكم القياصرة :

أخذت التناقضات الخارجية بين مصالح الإمبراطورية الروسية والإمبراطوريات الأخرى تنمو على شكل مطرد ، ففي الشرق الأقصى ثمة مطامع غربية وأخرى يابانية تتناقض مع مصالحها ، وفي الشرق الأدنى والأوسط كانت مطامع القياصرة الروس في ميراث دولة الخلافة الإسلامية الدولة العثمانية تصطدم مع مطامع الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية اللتين كانتا تتطلعان إلى الاستيلاء على هذا الميراث ، وفي الغرب كانت قوة ألمانيا في تعاظم خاصة بعد توحيدها ، هذا بالإضافة إلى التناقض المزمن مع امبراطورية النمسا والمجر للسيطرة على الدول السلافية في البلقان وشرق أوروبا .

كانت الهزيمة من نصيب روسيا في كل تحد واجهت به أيا من هذه التناقضات، ففي حرب القرم ١٨٥٦م تدخلت بريطانيا وفرنسا إلى جانب تركيا الأمر الذي أوقع بالروس هزيمة قاسية ، كذلك في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م حيث طردت روسيا من كوريا ومنشوريا وفقدت ميناء بورث أرثر وهو الميناء الدافيء الوحيد للأسطول الروسي في المحيط الهادي وكانت روسيا قد حصلت من الصين على امتياز استخدام دون باقي الدول الأخري .

ولم تكن التناقضات الداخلية أقل أثرا في تفسخ الامبراطورية الروسية من الهزائم الخارجية ، فنظام الحكم الاستبدادي والعلاقات الاجتماعية المتخلفة أديا بدورهما إلى تخلف الدولة حضاريا عن ركب التقدم الذي أحرزته الدول الكبرى الأخرى ، كما أديا إلى اختمار الثورة بين الجماهير الشعبية المتطلعة إلى أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية أفضل ، وجاءت الظروف المناسبة في الحرب العالمية الأولى والحزب الشيوعي البلشفي وزعيمه لينين .

ووقع نيقولا الثاني في ١٢مارس عام ١٩١٧ م صك انتحاره السياسي ، لتقوم امبراطورية لينين وخلفائه على أنقاض نيقولا الثاني وامبراطورية القياصرة .

وكانت ثورة أكتوبر نهاية لحكم القياصرة وبداية لحكم البلاشفة ، بعد أن دخل لينين وثلاثون من رفاقه داخل عربة قطار مغلقة قادما من ألمانيا ليضع خطة للانتفاضة المسلحة لإسقاط الحكم القيصري وابعاد نيقولا الثاني وعائلته إلى سيبيريا ليبقى هناك حتى

إعدامه وأفراد عائلته عام ١٩١٨م ، وأعلنت الجمهورية الروسية بعد أن نجح في إشعال ثورة البروليتاريا واحتلت قوات الثورة الكرملين وقاموا بتأمين المشروعات الصناعية الكبرى والبنوك والنقل والتجارة ، وانسحبت روسيا من الحرب بعد أن فقدت في أيام قلائل نحو ٦٠ ألفا من جنودها واندلعت الحرب الأهلية التى استمرت حتى عام ١٩٢٢م وتكرس في نهايتها انتصار البلاشفة .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي

الثورة البلشفية ونداء لينين :

حين قامت الثورة الشيوعية في روسيا الاتحادية عام ١٩١٧م أصدر لينين زعيم الثورة نداء إلى شعوب شمال القوقاز المسلمين كى يكسبهم إلى جانبه ضد حكم القياصرة جاء فيه :" يا مسلمي روسيا وتتار الفولجا والقرم ، ويأيها القرغيز والشيشان وقوزاق الجبل ، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزارعهم ، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها من الآن فصاعدا ،نعلن أن عاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصونة من الانتهاك ، ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عائق ، إن ذلك من حقكم .. اعلموا حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا، سنحميها بقوة الثورة ومجالس النواب والجنود والفلاحين "

وعلى إثر هذا النداء تنادت شعوب شمال القوقاز إلى مؤتمر قرروا فيه إعلان قيام جمهورية اتحاد شمال القوقاز المستقلة . اعترفت بهذه الجمهورية ألمانيا وتركيا والنمسا وبلغاريا ، ولكن بعد أن انتصر الشيوعيون عام ١٩٢٢م على القياصرة ، وتسلمهم الحكم رسميا في روسيا الاتحادية ، تنكروا لوعودهم لشعوب شمال القوقاز كما جاء في نداء لينين أثناء الثورة ، وأعادوا غزو واحتلال المناطق الإسلامية التى أعلنت استقلالها. وهكذا ورثت روسيا الشيوعية الدول الإسلامية عن روسيا القيصرية، وأضافت إلى حكمها عام ١٩٤٠ دول البلطيق الثلاث لتوانيا ولاتفيا واستونيا اضافة لمولدافيا.

لقد تضافرت عوامل كثيرة حققت النجاح لثورة لينين أهمها وقوف المسلمين فى صف لينين بعد أن صدقوا وعوده لهم بالاستقلال خاصة بعد ما عانوه فى العهد القيصرى، لذلك وقفوا معه ضد قوات روسيا البيضاء ، وكان لينين ذكيا نجح فى استقطاب المسلمين فى الامبراطورية الروسية إلى صفه ، وعندما اتجه الحلفاء إلى نجدة روسيا القيصرية وحكومة روسيا البيضاء سارع إلى فضح الاتفاقيات السرية التى عقدتها بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام أراضى المسلمين وأعلن أن روسيا الثورة لا ترغب فى احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الإسلامية وكذلك أعلن أن اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام ايران اتفاق باطل ولاغ.

مقتطفات من بيان لينين الموجه للمسلمين عام ١٩١٧م:

خديعة لينين للمسلمين :

" يامسلمي روسيا .. يامسلمي الشرق .. أيها الرفاق ..أيها الأخـــوة .. إن أحداثـــا عظيمة تحدث الآن في روسيا إن العهد الدموي الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين فـــي أرضكم قد قارب النهاية ، وتحت ضربات الثـــورة الروســـية فـــإن النظـــام الاســـتعبادي الاستبدادي يتقوض بناوه الآن ..وإن حكم الطغاة والمستبدين ومصاصي الدماء يقترب مـــن أيامه الأخيرة الآن وأن عالما جديدا يولد الآن ، عالم العمال والفلاحيـــن والأحـــرار ، إن عهد الرأسماليين والامبرياليين يتداعى الآن وأن الأرض بميد من تحت أرجلهم وتشـــتعل الثورة من تحت أقدامهم .. وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت إليكم يا مسلمي روســـيا والشرق الذين استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأرضكم.. يا مسلمي روســـيا وياتتـــار الفولجا ويا أيها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان ، ويا سكان القوقاس الأبطال وقبـــائل الشيشان وسكان الجبال الأشداء .. أنتم يامن هدمت مساجدكم وحطمت معـــابدكم ومـــزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم ..ثوروا من أجـــل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة ..إننا هنا نعلن احترامنـــا لدينكـــم ومســـاجدكم ، وإن عاداتكم حرة لا يمكن المساس بها ..اعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقـــوة الثورة ..لهذا نطلب تأييدكم للثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومـــن أجـــل حريتكـــم الدينية والمدنية .. يا مسلمي الشرق يا مسلمي إيران وتركيا وبلاد العرب والهند .. أنتم يـــا من تاجر مصاصو الدماء الأوربيين المستعمرون بحياتكم وأوطانكم وحرياتكم لعدة قـــرون من الزمان ..أنتم يا من يتآمر هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشـــعلون نـــار الحرب لتكونوا أتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم .. أما نحـــن فنعلـــن بـــأعلى صوت أن الاتفاقيات السرية بين روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيـــا الاســـتعماريتين والتي بموجبها اقتسموا أراضيكم أيها المسلمون واستلبوا ثرواتكم ونهبوا خيراتكم ، نعلـــن أنها باطلة ، ونعلن أن خطط القيصر المخلوع وحكومته التي أزاحها الشـــعب للاســـتيلاء على القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية باطلة ولاغية .

إن جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون أنهم ضد احتـــلال أراضي الغير بالقوة ونعلن أن القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين .. كما نعلـــن أن الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينـــهما لاغيـــة وباطلـــة.. ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية .. ونضمن اســـتقلال إيران الكامل ، ونعلن أننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينيا منـــها وأن هـــذه الاتفاقيـــات السرية باطلة ولاغية.

ليس من روسيا أيها المسلمون سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوربية المستعمرة.. من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثرواتكم وكأنكم غنائم الحرب المنتظرة ..

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة ..ثوروا فإن أي شرارة الآن ستكون حريقا يلتهم بنيان الطغيان والاستعمار والاستبداد ..إن الهند المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى ، ويرفضون أن يبقوا حول أعناقهم الأغلال التي غلتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان .. يامسلمي روسيا ويامسلمي الشرق هلموا إلينا .. إلى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من جديد على أسس الحق والخير والعدل . " **توقيع فلاديمير لينين وجوزيف ستالين** .

وجاءت الوقائع والأحداث تترا لتؤكد أن البيان الذي صاغه اليهود ، ما كان إلا مجموعة من المتناقضات والمغالطات المتعمدة لتحقيق أطماعهم ، إذ قام الروس الحمر بهدم عشرات الآلاف من المساجد والمدارس الدينية وصادروا كل الكتب الدينية وأحرقوها ، وكان القيام بالمشاعر الإسلامية جريمة عقابها القتل ، فمنعت الصلاة وكذلك الصوم والحج . ولو كان قادة الثورة يهمهم أمر المسلمين ، ما تجاهلوا وعد بلفور الذي صدر قبل البيان بعشرين يوما ، وما كان احتلالهم للقوقاز والتركستان بالقوة ، وما سارت الأمور على النحو الذي سارت عليه عكس ما توقع المسلمون !!

قراءة في بيان لينين :

يقول الدكتور **محمد عبد القادر أحمد** الأستاذ بجامعة البحرين: " يتضح من وعد لينين لمسلمي روسيا بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم ، كما يوجه في الإعلان النداءات إلى المسلمين خارج روسيا بحثهم فيها على الثورة على بريطانيا خاصة والحلفاء عامة الذين استعمروا العالم الإسلامي ، وامتهنوا كرامته ، ونهبوا خيراته وحاربوا دينه وألغوا شريعته.

كما قام لينين بتسليم مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذى كان فى حوزة القياصرة إلى ممثلى مسلمى روسيا فى مؤتمر بتروجراد ، وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار.

ولما كان المسلمون قد ذاقوا كثيرا من ألوان الظلم في عهد القياصرة فقد انعقدت آمالهم على ما جاء فى بيان لينين خاصة أمانيهم فى إقامة دولة إسلامية ذات استقلال ذاتى فى ظل الحكم الجديد . وتظاهر البلاشفة فى أول الأمر بتعاطفهم مع تلك الأمانى الوطنية

والدينية حتى يوطدوا سلطتهم فى البلاد . حتى إذا ما تم لهم ذلك ظهر الوجه الحقيقى للحكم الشيوعى المعادى للإسلام.

لقد فرح المسلمون بإعلان لينين واعتقدوا أن العصر الذهبى لهم قد بدأ يصبح حقيقة وبدأوا فى تشكيل مؤسساتهم الوطنية والحكومة المحلية كخطوة نحو تشكيل حكومات مستقلة كما بدأوا فى ترميم مساجدهم ودرو عبادتهم.

لقد بلغت سياسة لينين الدعائية حدا من النجاح جعل بعض المسلمين يعتقدون أن ثورة أكتوبر البلشفية جاءت منحة من السماء لإنقاذهم من حكم القياصرة والاستعمار الأوربى بل وصلت دعاية لينين إلى درجة الزعم بأن نظامه يقوم على مبادئ القرآن الكريم وشريعة الإسلام لذلك وقفوا فى صف سياسته منذ اللحظة الأولى.

لكن فرحة المسلمين لم تدم طويلا فسرعان ما نقدت الحكومة الشيوعية وعودها، فتعرض الزعماء الدينيون للاضطهاد ، وإغلقت المعاهد الدينية ولم يسمح بالتعليم الدينى ، وفرضت ضرائب على المساجد التى استمرت فى ممارسة نشاطها.

ولكن لما تبين للقادة السوفيت أن هذه الاجراءات الإدارية غير كافية بدأوا فى استعمال السلطة والإرهاب فأصدر لينين فى إبريل ١٩١٨ أمرا إلى الجيش الأحمر بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار وأخذت الدبابات والطائرات تحصد المدن حصدا ، وكانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا ومزودة بأحدث الأسلحة بينما كان المسلمون قل عدة وعتادا ، ولم تمتد يد إسلامية واحدة لمساعدتهم عسكريا فتساقطت مدنهم وبلادهم فى أيدى الغزاة الروس بعد كفاح مرير وبطولات واستشهاد ومنذ هذا التاريخ بدأ مخطط تفتيت هذه الشعوب المسلمة.

وبمجرد احتلال المناطق الإسلامية بدأ الزعماء الشيوعيون فى روسيا إنشاء ما يسمى بجمهوريات الحكم الذاتى تدميرا لوحدة المسلمين، وبدأ السوفيت يتهمون الشعب المسلم صراحة بمعاداة الثورة.

وعندما اندلعت الحرب الأهلية المروعة سنة ١٩٢٢ فى وجه الحكومة الشيوعية بدات هذه لحكومة فى الحد من محاربتها للمسلمين ولكن ما إن انتصرت فى هذه الحرب حتى انطلقت مرة أخرى بقسوة ووحشية أكثر من ذى قبل ضد الإسلام والمسلمين فكان الجيش الأحمر يقبض على المسلمين ويقتلهم قتلا جماعيا ، كما صادروا المحاصيل والماشية ، وسلب ونهب ، ويحكى (ريمون شارل) أعمال الشدة التى باشرها الحكم السوفيت ضد المسلمين ودينهم فيقول : إنه فى غضون عدة سنوات حولت ألوف المساجد إلى مواخير ونواد واسطبلات كما حولت جامعة سمرقند إلى ناد للملحدين وأغلقت المدارس الدينية (أحمد شلبى ١٩٩٠ ، ط ٨ ، ص ٥٩١).

ثم أطلقت يد الشيوعيين القوميين فى مسلمى آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون فى ذبح المسلمين بالجملة ، وإحراق المنازل وقتل المواشي ، ارتكاب المجازر والفظائع ، والجرائم التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، وقد قتل فى هذه المجازر ما يزيد على مليون ونصف مليون من رجال الدين ، وما يزيد على أربعة ملايين مسلم من غير رجال الدين، هذا عدا الذين هربوا إلى البلاد المجاورة (أحمد شلبى ١٩٩٠ ص ٥٩١).

لقد اعتنق كثير من مسلمي روسيا الشيوعية مصدقين دعوة الشيوعيين لهم بإمكانية التوفيق بين الشيوعية والإسلام ، وقد دامت هذه الشيوعية الإسلامية حوالى عشرين سنة من ١٩١٨-١٩٣٨ حاول الشيوعيون المسلمون خلالها أن يكيفوا الماركسية اللينينية الروسية مع ثقافة الإسلام لكنهم فشلوا وفى الختام يصفى الشيوعيون معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين . ولم يستثن الشيوعيون المسلمين المخلصين لهم على بقية إخوانهم من المسلمين والذين وطدوا لهم أركان حكمهم الاستعمارى فى المناطق الإسلامية، فقد كان الهلاك مصير الجميع.

وتستمر سياسة لينين فى عهد ستالين بصورة أشد بطشا واكثر دموية ففى عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفى شعب بأكملها إلى مجاهل سيبيريا بعد أن قتل منهم مئات الآلاف.

ولم يتم العدول عن سياسة اضطهاد المسلمين إلا أثناء فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٢-١٩٣٨) فخلال هذه الفترة عدلت الحكومة السوفيتية عن سياسة الاضطهاد التى كانت تتبعها ضد الإسلام والمسلمين ، وتكمنت الحكومة السوفيتية من استغلال الموقف السياسى الجديد بتطبيع العلاقات ووضعت اتفاقية نتج عنها وضع حد للدعايات المناهضة للدين أو فى جانبها الأكبر على الأقل وبذلك استعاد الإسلام وضعه القانونى وأصبحت أوفا مقرا للإدارة الإسلامية.

لقد شهدت هذه الفترة نوعا من التعايش أسهمت فى إيجاده عدة عوامل لعل أهمها إدراك الزعامة السوفيتية أن الوجه الإسلامى للإتحاد السوفيتى أو ادعاء احترام الإسلام يمكن أن يكون رصيدا له فى علاقاته مع الصحوة الإسلامية التى شهدتها منطقة الشرق الأوسط مما يحول بين هذه الصحوة وبين تأثر مناطقه الإسلامية.

وبعد عام ١٩٥٣ يواصل خرتشوف حملاته النفسية على المسلمين تحت شعار (العودة لتعاليم لينين) فيخفض عدد المساجد وعدد الأئمة ويضيق على المسلمين فى عيشهم وتوظيفهم واحتلال المناصب القيادية.

وتلخص مجلة (ملى تركستان) فى عدد ديسمبر ١٩٥١ ومارس ١٩٥٢ مراحل العدوان الشيوعى البلشفى على المسلمين فى شت مراحل هى :

[١] من سنة ١٩١٨ ١٩٢٤ وقتل خلال هذه المدة عدد كبير من التركستان تحت ستار تمكين الحكم الروسي الجديد .

[٢] من سنة ١٩٢٤ ١٩٢٨ وكان القتل خلال هذه المرحلة تحت ستار اقامة الجمهوريات السوفيتية حيث تم قتل كل من يعارض هذا الاتجاه .

[٣] من سنة ١٩٢٨-١٩٣٦ وألغى في هذه المرحلة نظام الاقطاع وأقيمت المزارع الجماعية وقتل في هذه المرحلة رجال الاقطاع وأعوانهم وألوف من الشخصيات الدينية الإسلامية التي خيف منها أن تدافع عن الملكيات الخاصة وتم في هذه المرحلة القضاء على استعمال الحروف العربية وحلى محلها الحروف الاتينية .

[٤] من سنة ١٩٣٦-١٩٣٨ وتعد أخطر مرحلة في تاريخ الابادة إذ قتل فيها من نعتوا من المسلمين بأنهم أعداء الشعب وسقط في هذه المرحلة ألوف من الأساتذة والطلاب والكتاب والصحفيين السياسيين وكثير من أصحاب المناصب الكبيرة .

[٥] من سنة ١٩٣٨-١٩٤٥ وانتشر خلال هذه المرحلة سلاح الدفاع الداخلي وتعرض للإرهاب والطغيان عدد كبير من الناس بحجة أنهم جواسيس .

[٦] المرحلة التي تلت بعد سنة ١٩٤٥م وكان شعارها (الجبهة التي ترمي إلى القضاء على لتاريخ والفكر والآداب التي لا تتناسب مع الفكر الماركسي)[١].

ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي :

ثارت شعوب الشيشان والأنجوش والبلغار عام ١٩٢٩م ضد الحكم الشيوعي ، وتم قصف القرى والمدن الثائرة بالمدفعية الثقيلة وقتل الآلاف من الثائرين وأعدم جميع الزعماء ، وفي عام ١٩٣٧م قام الشيوعيون بحملة قوية ضد الإسلام استهدفت العلماء والمساجد ودور تعليم القرآن ، وتم إعدام كثير من العلماء في شمال القوقاز ، فتقلص عددهم من عشرة آلاف إلى بضع مئات ، كما هدمت المساجد ودور تعليم القرآن وألغيت المحاكم الشرعية وأنشئت بدلا منها لجان التوثيق والمصالحة برئاسة مواطنين شيوعيين من كوادر الحزب الشيوعي .

أدى هذا القمع الديني إلى ثورة عارمة في بلاد الشيشان عام ١٩٣٩م. استمرت لنهاية عام ١٩٤٠م وحشد الشيوعيون قواتهم الضخمة التي انتهت بالقضاء على الثورة وإعدام زعمائها ، وفي فبراير عام ١٩٤٤م قام ستالين بنفي شعوب الشيشان والأنجوش والقبرطاي والبلكار ، وكذلك تتار القرم إلى آسيا الوسطى وسيبيريا حيث أقام معسكرات الاعتقال والعمل القسري ، وكان الشيشان والأنجوش من أكثر الشعوب تمردا. وفي عام

---

(١) أخبار الخليج ـ دراسات ـ ١٩٩١/١١/٩م

١٩٥٤م ثار أربعة آلاف شيشاني في معسكرات الاعتقال بكازاخستان ، وتغلبوا على قوات الحراسة وحرروا السجناء ، فطاردتهم القوات الشيوعية وقتل الكثيرون ونجح الآخرون في الهرب . يقول عنهم الكاتب الروسي المعروف الكسندر سولنجستين الذي أرسله ستالين إلى معسكرات الاعتقال في سيبيريا بسبب كتاباته المناهضة للشيوعية:

" لك أن تكسر ظهورهم ، لكن لا يستطيع أحد أن ينال من روحهم المعنوية ، لقد ظلت نفوسهم نمورا مقيدة بالسلاسل .. إنهم لا يرهبون الموت !! "

وفي عام ١٩٥٧ بعد وفاة ستالين ، تسلم نيكيتا خروتشوف الحكم ، فأصدر عفوا عن الشعوب التي تم نفيها ، فعاد منهم من نجا من معسكرات الاعتقال بسيبيريا وكازاخستان _ وكان ممن عاد الرئيس الراحل جوهر دودايف ، ورئيس البرلمان السوفييتي السابق رسلان حسبولاتوف ، وكانا طفلين صغيرين على أكتاف والديهما، عندما تم نفى الشعب الشيشاني ، حيث قضى الاثنان ثلاث عشر ة سنة من عمرهما في معسكرات الاعتقال بكازاخستان .

الاضطهاد الروسي للمسلمين في الامبراطورية الروسية :

استمر الاضطهاد الوحشي للمسلمين منذ تفككت دولة التتار ، فأجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية بعد حرق مساجدهم ومصادرة أملاكهم ، مما دفع الكثيرون إلى الهجرة إلى تركيا وبلاد الشام ، وكان هدف الحكومات الروسية المتعاقبة أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين ، فتضييع شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد الروسي لم ينس هؤلاء القوم هويتهم ، فقاموا بنشر الإسلام بين معتنقي المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم و عقيدتهم .

قاس خانات آسيا الوسطى من شراسة الهجمة الروسية الوحشية التوسعية بشكل لم يحدث له مثيل في مكان في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، فابتلعوا أراضي دولة خيوه عام ١٨٣٩م وكشروا عن أنيابهم عام ١٨٥٥وعام ١٨٦٤ م وهاجموا قوقاند ، ثم بخارى عام ١٨٦٨م واستعمروا بلاد المسلمين وألحقوها ببلادهم، بعد أن لطخ الروس أيديهم بدماء الأبرياء المسلمين .

حركت الحكومات الروسية نحو ١٦ مليون سلافي إلى جمهوريات آسيا الوسطى ، وفي مقابل هذه الأعداد هجرت المسلمين من بلادهم إلى أنحاء الاتحاد الروسي ، لتكون الغلبة العددية للروس السلاف فى الجمهوريات الإسلامية . ومس جراء ذلك تغيرت التركيبة السكانية ، فأصبحت نسبة المسلمين في كازاكستان ٤٠% وفي سائر الجمهوريات ارتفعت نسبة العناصر السلافية على حساب المسلمين. وفعلوا دلك مع تتار القرم، وفي القوقاز ، وحوض الفولجا.

أرغم الروس شعوب الشيشان والأنجوش والبلكار على الخروج من أوطانهم ، إلى سيبيريا وجزر سخالين ، ونقلوهم بطريقة وحشية في عربات للحيوانات القذرة ، دون أن يكون لدى هؤلاء المسلمين ما يدفع عنهم البرد القارس والرياح الثلجية .

هدم الروس المساجد وضيقوا على المسلمين في إقامة شعائرهم الدينية ، واعتبروا صيام رمضان عادة بربرية قذرة تعطل النمو الاقتصادي ، وحرموا الحج إلى بيت الله الحرام ، وجعلوا من الأحد عطلة رسمية بدلا من يوم الجمعة .

ولما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ بلغ الاضطهاد أشده على المسلمين ، وعلى مقدساتهم ، وأصبحوا فريسة للجيش الأحمر ، فألغت السلطات الروسية تعدد الزوجات وارتداء الحجاب ، كما ألغيت المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية ، وأغلقت المساجد ، وأوقفوا أداء الحج والعمرة للمسلمين ، وأبطلوا الصيام والزكاة ، وأوقفوا طبع المصاحف والكتب الدينية ، وألغوا دخل علماء المسلمين من الأرضي الموقوفة .

حرموا على أبناء المسلمين تعلم القرآن الكريم وقواعد الدين الإسلامي قبل سن الثامنة عشرة ، وحرموا على رجال الدين ممارسة نشاطهم الديني ، وحرموا المطبوعات العربية لعلاقتها بالمصحف الشريف ، وظل هذا الوضع المجحف بالمسلمين حتى الحرب العالمية الثانية ، ثم خفت وطأة الظلم قليلا فسمح للمسلمين بإنشاء الإدارات الدينية للإشراف على المسلمين ورعايتهم .

من صور الاضطهاد الديني الروسي للمسلمين :

الاضطهاد الديني الذي تمارسه اليوم روسيا ضد المسلمين في القوقاز ، ليس بجديد وليس أمرا حديثا ، ففي بداية القرن السادس عشر ، رفع هيرماهان أسقف قازان تقريرا إلى القيصر تيودور ، يسرد فيه بلسان محرق بالغ الأثر حوادث فشل التبشير المسيحي ، وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلي _ الإسلام _ وجرأتهم في إقامة شعائرهم الدينية بمساجد أقاموها من جديد .

وبناء على هذا التقرير الأسقفي قام القيصر بتدابير صارمة ضد المسلمين ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم ، مع إجبارهم على الإقامة في أحياء خاصة ، أنشئت خصيصا لهم تحت إشراف أحد الأمراء الروس ، ثم كلف الشبان المسلمين بالزواج من روسيات ، والشابات المسلمات من الزواج من روسيين ، ومن خالف الأمر كان مصيره السجن وتعذيبه بوضع القيود في يديه ورجليه ، وضربه بالسياط ، وكما لو كان هذا التعذيب غير كاف لإشباع نفسية القيصر ، فأمر بهدم المساجد التي بنيت من عصور ، وبطرد المسلمين من مدينتهم ، وكان له ما أراد .

وجاء البلاشفة الشيوعيون ، فكتموا خططهم السرية بمهارة ، وأخفوا حقيقة موقفهم من الدين ، وظهروا أمام الشعوب _ إلى حين تركيز القوة في أيديهم _ بمظهر محبب إلى النفوس ، ثم أسفروا عن حقيقتهم ، وبدأ الحزب الشيوعي ينشر خلاياه الإلحادية في أرجاء الاتحاد السوفييتي ، ونشطت في استئصال شأفة الدين بالقضاء على القضاة والمفتين والمدرسين والوعاظ والخطباء والأئمة والمؤذنين ، واحتلوا المدارس والمساجد ، وحولوها إلى مسارح واصطبلات خيول ومخازن للمؤن والذخائر ، وإلى أندية ودور سينما ، وأشياء لايقرها شرع ولا دين .

ألغوا المحاكم الشرعية وديار الافتاء ، وجمعوا نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية وأحرقوها ، ولم يشهد العالم انحطاطا خلقيا مثل هذا في المجتمعات الهمجية ، ونجت من أيدى الملحدين بعض الجوامع النادرة التي اعتبرت آثار عمرانية ، لتتخذها موسكو وسيلة لنفي ما يقال عنها.

مذبحة القرم :

في عام ١٩٣٨ وصل الاضطهاد الديني في القرم إلى ذروته ، ولم يعد الناس يشاهدون شيئا باسم الدين ، بعد إحراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية ، وتحويل المساجد والمدارس إلى مؤسسات شيوعية ، وقتل العلماء ، أو نفيهم إلى سيبيريا ، وفي ليلة من الليالي اعتقل الروس آخر من بقي من العلماء ، وبعد تعذيبهم أتي بهم الشيوعيون منهوكي القوى إلى محطة تكرير المياه بالمدينة ، المقام على شاطئ البحر الأسود ، وزجوا بهم على انفراد على عجلات الماكينات المعدة لتكون مفرمة ومذبحة لهم .

حدثت هذه الصور البشعة ، وتكرر حدوثها حيث يعيش المسلمون. يقول شاهد عيان فر من لإدارة الروسية وكتبت له الحياة : " إن من وسائل التعذيب ما لا تطيق الآداب الإنسانية أن تذكرها للناس ، من قذارتها ، ومن وسائل التعذيب:

- دق المسامير الطويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ ، وإحراق المسجون بعد صب النفط عليه .
- جعل المسجون هدفا لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
- نتف كل من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .
- خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .
- ربط المسجون على سرير ربطا محكما ثم تركه لأيام عديدة .أو صب الزيت المغلي على جسم المعذب ، أو صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم .

- ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة ، أو تمشيط الجسم بأمشاط حديدية حادة .
- حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، وتجويعهم حتى الموت .

كان هذا للرجال ، أما النساء فحظهن من مثل هذا العذاب ، أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على ثديهن وصدورهن ، ومواقع أخرى اختاروها ، وطرق دنيئة استعملوها يعف اللسان عن ذكرها حياء وخجلا .

وحدث هذا في ظل مواد الدستور السوفييتي الذي عدله ستالين عام ١٩٣٦ لتقول: صيانة الحريات في الاعتقاد ، ولجميع المواطنين حريتهم في ممارسة الشعائر الدينية .."

مارست الدولة الروسية عملية افناء منظمة للقضاء على العنصر الإسلامي فيها، فبلغت نسبة الفناء في بعض المناطق نحو ٤٥% باعتراف جريدة برافدا الرسمية ، وإن كانت نسبت هذا إلى المجاعة التي حلت بالقرم ، ولكن هذه المجاعة لم تصنع في المدن المجاورة غير الإسلامية شيئا . فكأنما اختارت المسلمين وحدهم لتحصدهم وهو أمر لدى الروس معقول وليس بمستغرب!!.

ثم نمضي مع الزمن فنجد أهل القرم المسلمين يكنون لروسيا السوفييتية البغضاء، ويتربصون بها الدوائر ، حتى إذا كانت الحرب العالمية الثانية ، وزحفت الجحافل الألمانية إلى الأراضي الروسية ، تخيل المسلمون أن العداء المستحكم بين الروس والألمان سيمنحهم الحرية ، ناسين أن الروح الصليبية هي التي تسيطر على الروس والألمان تجاه المسلمين على حد سواء ، وأن الأوربيين قد يعادي بعضهم بعضا ، وقد ينقسمون إلى معسكرات شتى ..ولكنهم سواء عندما يواجهون المسلمين .

ساق الألمان الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين في القرم إلى ما وراء خطوط النار مئات الكيلومترات كقطيع الغنم .. حفاة وعراة الأجسام والرؤوس ، دون أن يقدم إليهم طعام ولا شراب أو غطاء ، ومن تأخر منهم بضعة خطوات ، ولو لعذر قاهر كالمرض أو التعب ، كان نصيبه رصاصة ترديه قتيلا دون سؤال أو جواب ، وأقل احتجاج أو تذمر من المعاملة الألمانية القاسية ، كان كافيا للجندي أن يودع الدنيا إلى الأبد .. وكان الألمان يقومون بهذه العملية ضد الأسرى المسلمين الأبرياء ، بعد فرزهم من بين عموم الأسرى !!

الشيوعية تحارب الإسلام:

ويقول: محمد عبدالقادر أحمد تحت عنوان "**الشيوعية تحارب الإسلام**": لم تكتف الشيوعية باسلوب واحد لمحاربة الإسلام بل اتخذت أشكالاً كثيرة، من ذلك على سبيل المثال نشر

مئات الكتب والنشرات المعادية للدين والموجهة ضد الإسلام، وتجنيد عدد من الكوادر الملحدة لاستخدامهم في حملاتهم المعادية للإسلام.

ومن أجل ذلك كونت الشيوعية جماعات الإعلام السياسي الملحدة بجانب لجان الحزب المختلفة، وجمعية "بيليم" في أوزبكستان، وأعضاء الكوموسمول، و العمال، والمدرسين، وأساتذة الجامعات، ورجال الإدارة في الكولخوزات، والعاملين في التخصصات المختلفة، وكل هؤلاء دربوا على الدعاية ضد الإسلام. وكانت الحكومة الشيوعية تبعث بتوجيهاتها دائمًا لاتحادات الكتاب كي تكون الموضوعات الملحدة من أبرز موضوعات كتاباتهم بحيث يخصص من بين هذه الموضوعات ما يحارب الطقوس الدينية التي كانت باقية في المناطق الإسلامية، وإحلال الطقوس العلمانية محلها، ومحاربة الاحتفالات الدينية ومنعها.

وقد عقدت لجان الحزب الشيوعي والكوموسمول المركزية والإقليمية منذ سنة ١٩٨٠م العديد من الندوات حول الدعاية الملحدة، والتعليم الملحد، من ذلك اجتماع اللجنة المركزية للكوموسمول في تركمانيا السوفيتية (أشخباد ١٩٨٣م)، وفي "الندوة الخاصة بالمنطقة" في أنديزان (يناير ١٩٨٣م)، والمخصصة أساسًا لتشكيل جماعات نشطة ضد الدين في وادي فرغانة، وندوة أخرى خاصة بالمنطقة في ذات المدينة (مارس ١٩٨٣م) لمساعدة المناضلين ضد الدين في أذربيجان، وقيرغيرستان، وطاجيكستان، وتركمنستان، ومؤتمر لجنة حزب مدينة أشخباد (سبتمبر ١٩٨٢م) وخصص لتحسين الدعاية الملحدة في تركمانيا السوفيتية، وندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لأذربيجان (باكو ديسمبر ١٩٨٢) وكان موضوعها "أساليب تحسين الدعاية والتعليم للملحدين". وأنشئ في سنة ١٩٨٢ معبد جديد معاد للدين في جمهورية آسيا الوسطى باسم "بيت الإلحاد العلمي لأوزبكستان" ومقره في طشقند وله فروع في جميع أماكن العبادة في جمهورية أوزبكستان. ومن أهداف هذه المؤسسة نشر الكتب المعادية للدين وفتح المدارس الإلحادية والجامعات الشعبية.

وعلى الرغم من وجود ديانات وقوميات أخرى غير الإسلام إلا أن عدائهم للإسلام كان أشد، وكان شغلهم الشاغل القضاء عليه، فلم ينظروا إليه على أنه مجرد دين فحسب، وإنما حركة لها قوتها وفاعليتها السياسية نظرًا لأنها تمثل ملايين المسلمين.

لقد كانت نظرة الشيوعي للمسلم نظرة احتقار، وكانوا يطلقون على المسلمين اسم "الكلاب المختونين" وكانوا يسخرون من إتمام زواجهم على يد المأذون الشرعي، لذلك صدر مرسوم ٢١ ديسمبر ١٩١٧م طالب بالتوثيق المدني للزواج بدلاً من التوثيق الديني، وقضى انعدام أي أثر قانوني للعلاقة بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء إذا اكتفى الزوجان بالتوثيق الشرعي لعقد الزواج، ثم ألغت المحاكم الشرعية نهائيًا لأنها تعطي

للمسلمين سلطة على حياتهم البومية، وتقوي كيانهم كمسلمين (سعد عبدالعزيز مصلـــوح، ١٩٨٠، ص٤٤). كما حرمت القوانين الشيوعية على المسلمين حق تعدد الزوجات مـــهما كان السبب، ونص دستور الدولة على ذلك، لذلـــك وجدنـــا المســلمين فـــي جمهوريـــة كازاخستان بعد قيام انقلاب أغسطس ١٩٩١م يطالبون بإلغاء هذا القانون الـــذي يحرمـــهم من حق يكفله لهم دينهم (الأهرام بتاريخ ١٥/١٠/١٩٩١م، ص٤).

لقد لاقى المسلمون من أصناف القهر والعنف على أيدي الشيوعيين ما يعجز عـــن تحمله غيرهم. تقول الكاتبة هيلين كريرراتكوس في مقال نشر بصحيفة "لوموند الفرنســية" في ٤ يناير ١٩٨٠م "لقد حل بالمسلمين الكثير على أيدي زعماء الثـــورة البلشـــفية، فقـــد خربت مساجدهم، واستهزئ بأعرافهم ومعتقداتهم من جانب الشيوعيين".

لقد كان الشيوعيون وفي أيديهم الجيش الأحمر يقبضون على المسلمين ويقتلونـــهم قتلاً جماعيًا، كما صادروا محاصيلهم ومواشيهم وسلبوا ونهبوا ممتلكاتهم.

ويحكي ريمون شارل الكاتب الفرنسي في كتابه أعمال العنف التي باشرها الحكـــم السوفيتي ضد المسلمين في الإسلام بقوله "في غضون عدة سنوات حولت آلاف المســـاجد إلى مواخير ونواد واسطبلات، كما حولت جامعة سمرقند إلى نـــاد للملحديـــن، وأغلقـــت المدارس الدينية.

ثم أطلقت يد الشيوعيين في مسلمي آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون في ذبلـــح المسلمين بالجملة، وإحراق المنازل، وقتل المواشي، وارتكاب المجازر والفظائع والجرائـــم التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً وقد قتل في هذه المجازر ما يزيد على مليـــون ونصـــف مليون مسلم من رجال الدين، وما يزيد على ٤ ملايين مسلم من غير رجال الديـــن، هـــذا عدا الذين هربوا إلى البلدان المجاورة.

لقد ألقى جيش الشيوعيين الحمر القبض على آلاف من الرجال والنســـاء الأبريـــاء الذين لم يتركوا أرضهم ومنازلهم وينفذوا أوامر النفي إلى سيبيريا، وذلك كما يزعم العـــدو بسبب تطلعاتهم الوطنية، وتمنياتهم القومية، وأيديولوجيتهم الدينية والسياسية. وقد أعدم كـــل هؤلاء بصفة عاجلة دون محاكمة أو تحقيق. وأفادت الأخبار التي سربها شهود عيان بـــأن الجيش الأحمر كان يدفن المسلمين من الرجال والنساء والأطفال بالجرارات وهم مـــازالوا على قيد الحياة. وقد كرر الجيش الأحمر هذا الأسلوب أيضًا مع المسلمين في أفغانســـتان في أعقاب احتلاله الوحشي الغاشم له.

تقسيم المنطقة الإسلامية:

ومن أساليب حرب السوفيت للإسلام تقسيم المنطقة الإسلامية إلى دويلات، نعم لقـــد كانت هذه المنطقة تضم قبائل متعددة وكانت تقع بين هذه القبائل منازعات وأحيانًا حـــروب

ولكنهم كانوا جميعًا أمام عدو الإسلام يدًا واحدة سرعان ما ينسون خلافاتهم وشقاقهم. لقد أدرك الشيوعيون أن سيطرتهم على المسلمين لن تكون إلا إذا أوقعوا بينهم الخلاف والعداوة والبغضاء وقسموهم إلى دويلات ولم يقف تقسيمهم عند الحدود الجغرافية إنما امتد حتى شمل اللغة وهذا ما فعلوه مع جمهورية (داغستان فقد قسموها إلى سبع لغات) كما قسموا القوقاز إلى خمسة أقاليم: داغستان، وروسيا الشمالية، وكبردين، وسركش، واديكيي. وفعلوا هذا التقسيم في آسيا الوسطى سكان هذه المنطقة الإسلامية على الرغم من أنهم كانوا يتكونون من قبائل مختلفة لكن هذه القبائل كانت متحدة من ناحية الثقافة واللغة، وأخوة الإسلام، وقد نجح الشيوعيون في تطبيق منهج التفريق والتقسيم الذي اتبعوه في القوقاز وأبدل أورال فقسموا هذه المنطقة إلى خمس قبائل هي: التركمان، والتاجاك، والكرغان، والقازاق، والأزبك. وقد سارع الشيوعيون بترحيل أعداد كبيرة من اليهود السوفيت ووطنوهم في المناطق الإسلامية ليفتتوا التكتلات الإسلامية ويقللوا من تماسكها ونفوذها.

واتبعوا التقسيم الإداري لآسيا الوسطى بتقسيم سياسي، فبدلاً من الأمة التركستانية التي كانت تضم شعوب هذه المنطقة أسست السلطات السوفيتية عدة شعوب وقوميات لكل منها إقليم خاص ولغة مكتوبة خاصة. ويعد شعب الأوزبك أكبر المجموعات الست الرئيسية التي تضم أبناء المنطقة الأصليين، بينما يمثل شعب كاركالباكس أصغر الشعوب الإسلامية وجميع هذه الشعوب فيما عدا شعب التاجك من أصل تركي. ويشكل الأوزبك غالبية السكان في جمهوريتهم، بينما يعد الكازاك أقلية في جمهوريتهم إذ يتقدم عليهم الروس من الناحية العددية بعد أن فقد الكازاك ما يقلب من مليون شخص فيما بين ١٩٢٦-١٩٣٦م بسبب مقاومتهم لإجراءات الأنظمة الجماعية، وكذلك يعد القرغيز أقلية في جمهوريتهم، وإن كانوا أكبر المجموعات التي تعيش فيها مع الشعوب التركية الأخرى وهي الأوزبك والتتار، والإيغور والكازاك، حيث يشكلون أغلبية السكان هناك. أما التركمان و التاجك فهم أغلبية في بلادهم، كما توجد أعداد كبيرة من التاجل في أوزبكستان (نادر دولت، ١٩٨٦ك ص٤٣٨).

لقد كان شغل الشيوعيين الشاغل إبعاد المسلمين عن دينهم وهدم أركان عقيدتهم فمنعوهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

ويتصل بمنعهم المسلمين من الصلاة سخريتهم من طهارة المسلمين من الحدثين الأكبر والأصغر، وهدم مساجدهم وتدميرها، ويروي التاريخ أن الشيوعيين الروس هدموا عند دخولهم قازان سبعمائة مسجد من مساجدها الشهيرة، كما حطموا وحولوا آلاف المدارس الإسلامية التي كانت تعلم المسلمين أمور دينهم إلى مدارس لتعليم الشيوعية، كما حطموا المطبعة الإسلامية التي كانت تطبع القرآن الكريم، ومئات الكتب الإسلامية التي

كان يدرس فيها سبعة آلاف طالب وحولوها إلى جامعة شيوعية (محمد علي البار، ١٩٨٣م، ص١١٠).

وعندما دخل الشيوعيون إلى منطقة القرم ذات الأغلبية المسلمة قاموا بتحطيم المساجد وتحويلها إلى اصطبلات وصالات قمار، ونواد، ومتاحف، وقد تم تهديم وتحويل ١٥٥٨ مسجدًا في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م وعام ١٣٦٤م/ ١٩٤٥م.

إن مدينة كازان كانت تفخر غداة قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م بأنها تضم ١٣ مسجدًا، ولم يكن عدد سكانها يزيد على ٢٠٦ آلاف نسمة. أما الآن وعدد سكانها يصل إلى المليون نسمة غالبية منهم من المسلمين فلا تجد لديهم سوى مسجد واحد (نادر دولت، ١٩٨٦م، ص٤٤٦).

ولم يقتصر الأمر عند حد منع المسلمين من إقامة الصلاة بل منعوا فرضًا آخر من فروض المسلمين وهو أداء الزكاة، وكانت حجتهم أن جمع أموال الزكاة وتكدسها في يد رجال الدين يحولها إلى قوة مالية ينبغي أن يحسب لها حساب.

كما منعوا المسلمين من إقامة فرضهم الرابع وهو صيام شهر رمضان مدعين أن الصوم معطل للإنتاج (شانتال لمربية، ألكسندر بينفسن، ١٩٧٧م، ص٢٣٣-٢٣٤).

ومنعتهم أيضًا من ممارسة شعائر فرضهم الخامس وهو حد بيت الله الحرام في مكة المكرمة حتى لا يتصل المسلمون الروس بإخوانهم المسلمين في أثناء تجمع الحج (إحسان حقي، ١٩٧٨م، ص٩١-٩٣).

لقد انخفض عدد الحجاج في العهد البلشفي انخفاضًا كبيرًا، فقبل الثورة سنة ١٩١٧م كان يصل عدد الحجاج كل عام إلى ما بين ٥٠,٠٠٠ غلى ٦٠,٠٠٠ حاج، وبعد ثورة ١٩١٧م كان يتراوح عدد الحجاج من ٩-١٨ حاجًا كل عام.

وعلى من يرغب في أن يحج من أي إقليم أو جمهورية أن يدون اسمه ويرسل إلى مقر الحزب الرئيسي في موسكو ولا توافق الحكومة إلا على من يؤيدون المذهب الشيوعي ويعرفون عن مبادئه أكثر مما يعرفون عن الإسلام. وفي كثير من مواسم الحج بعث الاتحاد السوفيتي بحجاج أعضاء في اتحاد المحاربين الملحد. أما المسلمون المتمسكون بإسلامهم ودينهم فكان مصير طلباتهم إلى الحج الرفض.

وكان هدف الاتحاد السوفيتي من إرسال هؤلاء الحجاج الملحدين الظهور أمام العالم الإسلامي بأن المسلمين السوفيت أحرار، وتعطيهم السلطات الحق في ممارسة شعائرهم الدينية. ومما يؤكد اختيار السوفيت للحجاج الملحدين الذين لا يعرفون شيئًا عن الدين الإسلامي ما جاء في مجلة (ترجمان ــ كراجي في نوفمبر سنة ١٩٥٣م ص٣٨) "عندما أرسلت حكومة الاتحاد السوفيتي ثمانية عشر حاجًا من حجاجها هذا العام إلى مكة

المكرمة كان رئيس قافلتهم رجلا لا يعرف كيف يصلي، ولا يفقه شيئًا عن الإسلام وتعاليمه.

ولم يغب عن بال الشيوعيين أن المدارس الدينية في المناطق الإسلامية لها دور كبير في تعليم المسلمين أمور دينهم وحثهم على التمسك بأركانه فشرعوا في هدمها وغلقها وتحويلها إلى مدارس شيوعية، فبعد أن كان بتركستان وحدها ٧,٢٩٠ مدرسة ابتدائية إسلامية يرتادها أكثر من ٧٠,٠٠٠ تلميذ و ٣٧٥ مدرسة ثانوية يرتادها ٩٠,٦٠٠ طالب، صدر مرسوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ بمنع التعليم الديني في المدارس ولم يبأت عام ١٩٢٨ إلا وقد صفيت هذه المدارس تمامًا وأخلي المجال للتعليم الشيوعي الماركسي التوجه (عبد الرحمن النقيب، ١٩٨٦، ص ٦٨).

لقد نجح الشيوعيون في القضاء على كل المدارس الدينية الإسلامية بحيث صار لا يوجد في الاتحاد السوفيتي الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلومتر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه حسب آخر تقدير ٧٠ مليونًا سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الإسلامي واحدة في بخارى والأخرى في طشقند.

ومن أساليب حرب الإسلام قتل المسلمين فرادى وجماعات، وذبحهم في بعض الأحيان كما تذبح الحيوانات وتصفيتهم تصفية جماعية في أحيان أخرى.

وتعد عملية دفن المسلمين السوفيت أحياء من قبل الشيوعيين عملية عادية، ويعثر من حين إلى آخر في الجمهوريات الإسلامية على خنادق كبيرة تحمل جثث موتى في أوضاع تدل على أنهم دفنوا أحياء.

ومن جرائم الوأد التي كانوا يرتكبونها أنهم كانوا يحفرون آبارًا عميقة ثم يأتون بمن ألقي القبض عليهم، ويوقفوهم أمام البئر واحدًا خلف الأخر ثم يركلون الواحد بأرجلهم ليسقط في البئر حتى يمتلئ فإذا امتلأ البئر هالوا عليه التراب إلى أن يساووه بالأرض، ثم يبدءون في إسقاط المسلمين في البئر التالي حتى يمتلئ. وهكذا دواليك حتى ينتهوا من المقبوض عليهم. ولن ينسى التاريخ مذبحة الحزب الشيوعي للمسلمين في باكو في مارس ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) والتي راح ضحيتها ١٨,٠٠٠ مسلم (مجلة الشئون السوفيتية عدد ٤/١٩٦٠، و عدد ٢٧، ٢٨ سنة ١٩٧٠م).

لن ينسى المسلمون في الاتحاد السوفيتي حرب إبادة لينين لهم ولأجدادهم، ومذبحة القرم، ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطط، ثم أكلوا موتاهم.

لن ينسى المسلمون مذابح التركستان التي قامت بها جحافل جيش لينين بالتعاون مع المستوطنين الروس الذين زرعتهم دولة القياصرة البيض في وسط التركستان ومنها مذبحة عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م أي قبيل ثورة ١٩١٧م. وكان من نتيجة حملات الإبادة الجماعية فرار ملايين من أهل تركستان المسلمين إلى المناطق المجاورة في أفغانستان

وإيران والصين، ومناطق شرق آسيا، ووصل كثير منهم إلى تركيا، ومجموعات أخرى توطنت الحجاز في مكة والمدينة وجدة. أما الذين ماتوا منهم نتيجة المجاعة فقد كانوا أكثر من ثلاثة ملايين تركستاني مسلم. (انتهى كلام محمد عبدالقادر أحمد).

ويقول أيضًا عن موقف الشيوعيين من اللغة العربية تحت عنوان (التجسس على المسلمين):

حرص السوفييت على تغليب شعور التضامن الطبقي على الشعور القومي. ومن هنا حاربوا القوميات حرباً لا هوادة فيها. ولم يتورعوا في أن يصفوا جماعة أو أفراداً ينادون بالقومية، وابتدعوا نظام إشراف الحزب الشيوعي الروسي على جميع أعمال الدول الاتحادية في كل جمهورية، وقدموا فيها المصالح الاتحادية على أية مصلحة محلية، وخاصة في الثقافة والاقتصاد. ولأجل ضمان الالتزام بالمبادئ الشيوعية زرع جهاز الاستخبارات الروسية (كي جي بي) الجاسوسية في كل مكان خاصة في المناطق الإسلامية، وأصبح الابن يتجسس على أبيه، وصار عملاء الحزب الشيوعي موجودين في كل مكان حتى داخل الأسرة الواحدة. مما جعل المسلمين يتظاهرون بأنهم لا يؤدون الشعائر الإسلامية أمام الناس. ففي صفوف العائلة الواحدة لا تقام الصلاة إلا إذا تأكد الجميع أنه لا يوجد بين أعضاء الأسرة عملاء للدولة أو للحزب الشيوعي.

وكان تشرب المواطن في مراحل التعليم المختلفة لتعاليم ومبادئ الحزب الشيوعي هو غاية الغايات ومنتهى الطلب. لذلك أعطت الدولة عناية فائقة لما يسمى (بالسلوك) الذي يقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره. وكانت درجات السلوك تنال أهمية بالغة في حياة التلميذ تفوق أهمية الدرجات التي يحصل عليها في العلوم الأكاديمية. إذ قد يعيد التلميذ العام الدراسي إذ فشل في السلوك (وهيب سمعان، محمد منير مرسي. ١٩٧٧،ص٧٤) وهناك تمثال للطفل الروسي المثالي ممثلاً في طفل وشى بوالده الذي يعتنق أفكاراً مناهضة للحزب الشيوعي. فالوشاية حتى بالأباء والأصدقاء والأقربين هي قمة السلوك الاشتراكي الذي تتطلبه الدولة والحزب من أطفالها وطلابها.

لقد حرص السوفييت البلاشفة على أن يضعوا عيونهم ويبثوا جواسيسهم في صفوف المجاهدين والثائرين من المسلمين ضد حكمهم وتعاليمهم، وكان جواسيسهم ينشرون في صفوف الثائرين أن قادتهم يعملون لصالحهم وليس لصالح المسلمين ككل وأطلقوا على حركة البسماجية الثائرة ضد فظائع السوفييت في المناطق الإسلامية اسم قطاع الطرق الباغين. لكن المخلصين من المسلمين لم ينصتوا لدعايات هؤلاء المغرضين وكان لفظ البسمجي في نظرهم يعني المجاهد الثائر ضد قوى البغي والشر والعدوان.

وركز الكتاب السوفييت في كتاباتهم على وصف البسماجيين بأنهم من فقراء المسلمين الذين استغل رجال الدين بساطتهم وفقرهم نجد ذلك في كتابات واسيلفسكي K.Vesilesrshiy الذي يرى أن هؤلاء ليسوا مجاهدين إنما قاموا للضغط على الحكومة لتعطيهم الغذاء والأموال.

لقد نجح جواسيس البلاشفة في زرع الفتن بين قادة البسماجية الثائرين في تركستان فدب بينهم الخلاف وتفرقوا ولم يقف بعضهم بجانب بعض!.

كما نجحوا في تشكيك أمر بخارى في نوايا الثائر المجهد أنور باشا عندما طلب منه المساعدة لقتال الشيوعيين ورجاه أن يؤسس حكومة إسلامية محلية لكي تمد جيش المسلمين بالمؤن والعتاد، فأوقعوا في روع أمير بخارى بأن أنور باشا يريده أن يؤسس حكومة إسلامية في وسط أسيا لكي يستولي على بخارى بعد ذلك هو ومن معه المجاهدين في جيشه.

ونجح جواسيس السوفييت في اختراق صفوف المجاهدين ونشر الخلاف بينهم وكونوا من المنشقين جماعة "البسماجيون السوفييت" وكان أكثر أعضاء هذه الجماعة من فرغانة الذين استمالهم السوفييت وزودوهم بالأموال، وقد نجح أعضاء هذه الجماعة الجديدة في إشاعة الفرقة والاضطراب في جيش أنور باشا. وحولوا محبة جنده له إلى عداوة. بل امتد نجاحهم إلى حد استمالة المجاهدين كي يتركوا جيش أنور باشا وينضموا إلى الجيش الأحمر السوفيتي.

واندس الجواسيس السوفييت بين علماء المسلمين وأقنعوهم بأن حكومة السوفييت تحترم العلماء وأنها تدعو إلى اشتراكية الإسلام وأن من يدعون إلى الجهاد يريدون أن يحققوا لأنفسهم مكاسب شخصية وأنهم يعبدون المنفعة ووصموهم بكلمات نفرت العامة من المجاهدين ومن العلماء الموجودين في صفوفهم، فسقطت هيبة هؤلاء العلماء ونزل وقارهم ووقع بينهم وبين العلماء الممالئين للسوفييت النزاع والجدل.

ووقف العلماء الذين كسب السوفييت انتزاعهم من صفوف المسلمين يدعون للنظام الشيوعي ويدافعون عنه، وجاءوا من القرآن بآيات تثبت أنه نظام واقعي يأخذ من الغني ليعطي الفقير. ومن علماء المسلمين المخدوعين "بيرايشان فخر الدين ولي خوجه بيه" يقول في إحدى خطبه مؤيداً النظام الشيوعي: "أريد أن أقول لكم إن الحكومة الروسية إنما جاءت لتوفر لنا الأمن وتحافظ علينا وتحمينا. لذا وجب علينا أن نؤيدها. فهي حكومة الفقراء التي توفر لهم الرزق، وتعطيهم الأرض الزراعية، وتلزم الأغنياء بمساعدة الفقراء، إنها حكومة المساكين والعمال والفقراء".

لقد خدع كثير من علماء المسلمين ضعيفي الإيمان بسم الشيوعية في العسل الذي قدمه لهم هؤلاء الجواسيس وحولوهم من مناهضين إلى مؤيدين ومدافعين عن الشيوعية.

يقول الكاتب "شواكونتز" "لقد وقع أثر هذا العمل في الناس حتى حمد الشيوخ والعلماء الشيوعيين، ورطبوا ألسنتهم بحمدهم والثناء عليهم في وقت سبوا فيه المجاهدين وحركوا البسماجية ووصل الأمر إلى أنهم كانوا مستعدين أن يخرجوا لمقابلتهم وقتالهم".

لقد أنفق الشيوعيون أموالا كثيرة على التجسس في المنطقة الإسلامية بحيث لا يكاد يخلو مسجد أو مدرسة أو نقابة أو تجمع أو حتى أسرة من سطوة هذه الجاسوسة وقد أعدم كثير من المسلمين بوشايات الجواسيس واتهامهم للمسلمين بأنهم أعداء الشعب وأعداء الثورة أو أنهم يمثلون القوى المضادة ولم يأمن الناس على أنفسهم وأولادهم وأرزاقهم خوفاً من غدر هؤلاء الجواسيس وتهمهم الملفقة في كثير من الأحيان. وحتى بعد فشل انقلاب ١٨أغسطس١٩٩١ وسقوط جهاز الاستخبارات كي. جي. بي ظل الناس خائفين من سطوة هؤلاء الجواسيس يتضح ذلك مما رواه أحد الصحفيين عن سيدة أوكرانية في الأربعين من عمرها تقول "لقد ولدنا ونشأنا في قفص ولا يستطيع شعبنا أن يتكلم فالإنسان منا يظن أنه سيفقد حريته أو عمله على الأقل أو شقته إذا ما تجرأ على الحديث".

سأل الصحفي المرأة عن اسمها فامتنعت عن التصريح به، وكان قد تجمع حولها نفر من الشباب المتحمس فقالوا لها: مم تخافين، لقد صرنا شعباً حراً الآن؟

عندئذ التفتت إليهم وقالت: أخاف منكم جميعاً، فقد تكونوا عملاء لـ كي. جي. بي.

ومن هذا المنطلق لم يجرؤ المسلم في الاتحاد السوفيتي أن يقول "أنا مسلم" أما أحد فلو سأله حد عن ديانته يقول: أنا شيوعي فإذا كرر عليه السائل قوله: ألست مسلماً؟ يقول:لا أنا شيوعي. وعندما كان ينجح بعض الصحفيين العرب أو المسلمين ويذهبون إلى المنطقة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ويثق فيهم المسلمون كانوا يظهرون لهم إسلامهم وتمسكهم بدينهم ويطلبون منهم أن يعرفوا العالم بما يعانون من قهر واستعباد لعل العالم يساعدهم على هدم هذا الاستعباد والقهر والعدوان. وقد استجاب الله لدعائهم.

محاولات القضاء على الحرف العربي:

ولا تقف مؤامرة الشيوعيين عند محاولة القضاء على اللغة العربية عند المسلمين السوفيت بل امتدت إلى محاولة القضاء على الحرف العربي الذي كان يكتب به المسلمون السوفيت إدراكاً منهم أن الخط العربي يعد من أهم مقومات القومية الإسلامية وأخصها إذ ليس هناك أفضل من اللغة العربية وخطها العربي لتأكيد الشخصية القومية .

لقد واجهت اللغة العربية وخطها العربي هجمة ضارية من الشيوعيين السوفيت، فعند دخول الروس البلاشفة إلى المناطق الإسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعها بالحرف العربي، وتدخلها كثير من الكلمات العربية، كما كان هناك ما يقرب من أربعين

لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين إلى إيجاد كتابة لجميع هذه اللهجات، وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة، ويكتبونها بالحرف الروسي، كما أن عليهم تعلم الروسية كلغة أم ثانية .

وعلى الرغم من أن الفكر الشيوعي يصطدم أساساً مع القوميات، إلا أن الشيوعيين أشعلوا النعرة القومية بين مسلمي روسيا كما أسلفت، إمعاناً في تشتيتهم وتفريقهم، بل وذهبوا إلى أكبر من ذلك بمحاولتهم القضاء على فكرة الأمة الإسلامية، وقسموا المنطقة إلى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية، وإلى ثماني جمهوريات ذات استقلال ذاتي، وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق .

ومن بين هذه الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي جمهورية "تشيشينيا" التي رفضت قرارات يلتسن وأعلنت الاستقلال الذاتي والتعبئة العامة في ٩ من نوفمبر سنة ١٩٩١م وحاصرت القوات الروسية في المطار وناشد رئيسها الجنرال داوداييف المسلم الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي الوقوف معه ضد موسكو، وتقع جمهورية "تشيشينيا" بين بحر قزوين، والبحر الأسود .

لقد حاول الشيوعيون السوفيت تحت واجهة الإصلاح الثقافي إلغاء الكتابة بالحرف العربي وإبدالها بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي (الكيريلي)، ويفرض ستالين خلق لغة بشكيرية وضع العلماء الروس مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تترية قديمة بدلاً من استخدام اللغة التترية ذات الأبجدية العربية، وكذلك حول لغة التركمان من الكتابة بالحرف العربي إلى الكتابة بالحرف اللاتيني ثم الكتابة بالحرف الروسي وفي العشرينات أنشئت في منطقة التركمان لغة أدبية مبنية على لهجتي الطقة واليمود، وكتبت بالحروف العربية ثم بالحروف اللاتينية، وأخيراً في عام ١٩٣٩ كتبت بالحروف الكيريلية (الأسبوع العربي، ١٢ بتاريخ ١٩٨٢/٤/٢٦م ، ص٥٦)، وكذلك حول الشيوعيون اللغة التدجيكية التي كان يتكلمها التدجيك، وهي فارسية، من كتابتها بالحرف العربي إلى الحروف الكيريلية وذلك منذ ١٩٣٩م .

لقد انتهت كل محاولات الشيوعيين إلى تحويل كل كتابات المسلمين من الحرف العربي إلى الحرف الروسي الكيريلي أملاً في أن تصبح على مرور الزمن اللغة الروسية اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا تتكلمها كل العناصر المثقفة من كل شعوب الاتحاد السوفيتي، خصوصاً وأنه قرر تدريس اللغة الروسية في جميع المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى وثانية، وهي لغة التعلم الوحيدة في أكثر أقسام الدراسات العليا، وبدا فإن الشاب المسلم الذي يريد متابعة دراسته العلمية لابد أن يكون على معرفة كافية باللغة الروسية،

ولابد له من ذلك أيضاً حتى يتسنى له أن يبني مستقبله وينجح في الحياة (شانتال لمربيه كلجكي، الكسندر بينفسن ١٩٧٧، ص٣١٩) .

لكن ينبغي أن يدرك القارئ أن هذا التحويل من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ثم إلى الحرف الروسي الكبريلي لم يكن أمراً سهلاً مر بسهولة، فقد قاوم المسلمون ببسالة لأنه ارتبط عندهم بقوميتهم الإسلامية، ووقف كثير من الزعماء المسلمين يذودون عن الحرف العربي، ويبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون ذوبان شخصية المسلمين القومية، ومن بين هؤلاء الزعماء المسلمين غاليموجان إبراهيموف من تتار الفولجا عينه ستالين سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) رئيساً للمفوضية المركزية للشئون الإسلامية، وتولي مراكز هامة للشيوعيين، ومع أن موسكو بعثت بقوات مركزية الإرهاب والتخلص من هذا الزعيم الإسلامي القومي، إلا أنها لم تتمكن من تنفيذ خطتها، إذ اصطدمت قواتها بمجموعات من الرجال المسلحين تكونت منهم عناصر المقاومة الإسلامية التي لقيت كل تأييد من جموع الشعب .

وجن جنون ستالين وانتقم بإلغاء استخدام الحروف العربية في الجمهوريات الإسلامية بالقوة ويفرض بدلاً منها الحروف الروسية، كما قاوم الثقافات الدينية التي كانت نشطة في المناطق الإسلامية، ثم يقبض ستالين على الزعيم غاليموجان إبراهيموف لمقاومته تحويل الكتابة التترية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ثم يعدمه في السجن سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) .

وشارك الكتاب المسلمون في الدفاع عن اللغة العربية والحرف العربي فأسسوا في طشقند "جمعية التشاغاتاي" وكانت تضم بين أعضائها الكتاب : منور قاري، وعبدالرؤوف فطرت، وعبدالله أفلائي باتو، رئيس مصلحة الشئون الثقافية في كوميسارية الشعب للتعليم في تركستان .. وغيرهم كثير، وبعد أن حلت هذه الجمعية عام ١٩٢٢ عادت فانبعثت مرة أخرى عام ١٩٢٧ تحت اسم "كيزيل كلام" أي "الريشة الحمراء" لكن الشيوعيين السوفيت صفوا أعضاءها جسديا بعد عام ١٩٣٧م لعدم موافقتهم في كتاباتهم على سياسة التجزئة القومية ومقاومتهم إنشاء لغات أدبية جديدة وبصفتهم قوميين يدعون لرابطة الشعوب التركية:

لقد التفت الكتاب والأدباء المسلمون إلى خطورة ظهور اللغات الإقليمية الجديدة، وإلى محاولة القضاء على اللغة العربية والخط العربي، فكل ذلك يشكل عامل هدم للوحدة اللغوية وبالتالي للثقافة الإسلامية، ولذا بذلوا جهودا طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات، وفي عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) قام المفكر والسياسي التتاري إسماعيل غسبرالي (غسبرينسكي) بإطلاق شعار : كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم"، وحاولوا إيجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم، وكتب بها جريدته

اليومية (الترجمان) التي ظل ينشر ها في بغتشبساري من سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) حتى عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) والتي عدت من أعظم الدوريات الإسلامية في ذلك الوقت .

ما أشبه اليوم بالبارحة .. أن موقف الشيوعيين البلاشفة من اللغة العربية والحرف العربي هو موقف الاستعمار من اللغة العربية وحرفها العربي الذي لم يتوقف حتى يومنا هذا، وأحدث بلد عربي إسلامي تحول عن الكتابة بالخط العربي هو جمهورية الصومال وذلك خلال عام ١٩٩٠، وهو ما حدث أيضاً من قبل في تركيا، فقد كانت اللغة التركية تستعمل الخط العربي حتى ٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٨م حينما أوقف كمال أتاتورك استعمال الخط العربي وغيره بالأبجدية اللاتينية .

ورغم محاولات الاستعمار المميتة إلا أنه لم ينجح في تحويل كثير من البلدان العربية الإسلامية في آسيا وجعلها تعدل عن الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية فلا تزال اللغة الفارسية ترسم بالحروف العربية، وكذلك لغة البشتو لغة أفغانستان، والاردو لغة باكستان، ولغة الملايو التي تكتب بحروف عربية منذ القرن السادس عشر.

وفي الحزام الإفريقي رغم محاولات الاستعمار إلا أن كثيراً من اللغات الإفريقية لا تزال تستعمل الحرف العربي في أحيان كثيرة.